منكرات شاعت في المجتمعات الإسلامية

١ - الاستهانة بالعبادات وشعائر الله:

قال ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

فالصلاة هي أهم أركان الإسلام، وهي عماد الدين، ومع ذلك نجد كثيراً من الناس يستهين بها ولا يستحي أن يعلن بأنه لا يصلي، قال ﷺ: «**الصلاة عماد الدين، من أقامها، فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين**»، وقال ﷺ: «**بين الرجل والكفر ترك الصلاة**» [رواه مسلم].

وآخر يؤدي الصلاة في آخر وقتها، وثاني يجمع كل الفروض في آخر النهار، وثالث لا يصلي الجمعة.

قال تعالى في سورة مريم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]،

وقد جاء في تفسير هذه الآية: أنهم الذين يؤدونها في آخر وقتها، فما بالك بمن تركها بالكلية.

وأما صلاة الجمعة فقد أُمرنا بآدائها، فهي فريضة على الذكور البالغين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٩]، فهي ساعة فقط من كل أسبوع يترك فيها المسلم عمله، ويسارع إلى أدائها، فيُبارك الله له في رزقه، ولكن الذي يحدث الآن تجد الفريضة تُقام والناس تملأ أماكن اللهو والأسواق.

قال ﷺ: «من ترك أربع جمع طبع الله على قلبه».

أما فريضة الصوم فحدّث ولا حرج، فقد كان في سالف الزمان يستحي المسلم أن يأكل في نهار رمضان حتى من كان معذوراً، وحتى النصراني كان يراعي شعور المسلم، ولا يأكل في نهار رمضان، و كانت محال الطعام تُغلق أبوابها، أما الآن فالإفطار علناً، ولا يستحي من ذلك؛ لأنه لا أحد يُنكر عليه فعله، والمحلات تُقدم له الطعام ولا أحد يتحرك.

والزكاة كذلك كثير من الناس لا يؤديها مع أن أبو بكر رضي الله عنه حارب مانعي الزكاة واعتبرهم مرتدين.

أما القرآن فقليل من يداوم على قراءته بحجة عدم توافر الوقت لديهم مع أنهم يقضون ساعات في اللهو والعبث، ومن قرأه لا يتدبر معانيه، وإن علم منها شيئًا لا يعمل به، قال ﷺ: «ربّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»، وقال ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك» [رواه مسلم].

ولو علموا فضل قراءة القرآن ما هجروه، قال ﷺ: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» وقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

٢ - تعطيل إقامة الحدود:

كحد السرقة وحد القتل والزنى، مما أدى إلى تفشي الجرائم في المجتمع، وأصبح الإنسان غير آمن على نفسه ولا ماله ولا عرضه، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ [البقرة: ١٧٩].

٣ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فإن كان إقامة الحدود هي من اختصاص الحاكم، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة، كما سبق أو وضحنا، ولكن للأسف الشديد، ترك المسلمون هذا العمل جهلاً منهم بأهميته ووجوبه، ولصعوبته كما سبق أن أوضحنا، فكانت النتيجة أن نسي كثير من المسلمين أحكام الشرع وابتعدوا عن طاعة ربهم، وشاعت كلمة الحرية التي هي كلمة حق يراد بها باطل، فالحرية أن أفعل ما يصلح حالي، ولا يضر الآخرين، أما الخروج عن الدين وتعاليمه، فهذا أكبر ضرر على المسلمين عامة، وعلى الدين كما سبق أن أوضحنا، فأصبح المسلمون مثلٌ سيئ للإسلام، والإسلام بريء من أفعالهم؛ لذا كان ترك هذا العمل من أكبر المنكرات التي لا يلتفت إليها كثير من الناس، ويستهين به؛ لأنه أمر من الله عز وجل واجب على الأمة، وسوف نفصل فيما يلي بعض المنكرات التي شاعت وأصبحت عرفًا رغم مخالفتها للشرع نتيجة لعدم إنكار الناس لها:

٤ - سفور المرأة وعدم التزامها بالحجاب الشرعي:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

جاء في تفسير هذه الآية في كثير من التفاسير، مثل تفسير الجلالين والطبري: أن كلمة جلابيبهن تعني ملاءة واسعة تشتمل بها المرأة من فوق رأسها إلى أسفل قدمها، ثم تضمها على وجهها، فلا يظهر منه إلا عيناً واحدة أو الإثنين لترى الطريق.

وهي الملاءة اللف التي كانت معروفة في المجتمع المصري حتى أوائل الخمسينيات، والعباءة التي تلبسها المرأة في دول الخليج، والشوب الذي ترتديه المرأة في السودان وفي أفغانستان، وكثير من الدول الإسلامية التي لم يدخلها الإستعمار ظلت ملتزمة به إلى يومنا هذا.

وهذا الحجاب الشرعي من الأمور المعروفة من الدين بالضرورة، لأنه أمر من الله نزلت به الآيات القرآنية، والتزم

بها المسلمون جيلاً بعد جيل، ما يقرب من (١٤٠٠) سنة إلى أن سيطر الاستعمار على كثير من الدول الإسلامية كما كان في مصر والشام وشمال أفريقيا، وحاولوا إخراج المسلمين عن دينهم وتغيير لعتهم كما حدث في شمال إفريقيا؛ لعلمهم أنهم لن يستطيعوا السيطرة عليهم إلاّ إذا فعلوا ذلك وكان وراء هذه الفتنة اليهود، فقد واكب هذه الأحداث احتلال اليهود لأرض فلسطين، وكانت الفتنة التي أصابت جسد الأمة الإسلامية في مقتل، بعدها توالت الهزائم على الشعوب الإسلامية.

أما هذه الفتنة فقد جاء بها الاستعمار؛ ليخرج المسلمن عن تعاليم دينهم بحجة ما أسموه تحرير المرأة، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

فإن اتبع المسلمون أهواء اليهود والنصارى، تخلى ربنا عن نصرتهم، وهم يعلمون هذه الحقيقة جيداً؛ وذلك منذ

احتلال الفرنسيين لمصر في عهد نابليون بونابرت، فقد كانت الجيوش تخرج من الأزهر، فعلم أن تمسّكهم بدينهم هو الذي يدفعهم دفعًا للجهاد والدفاع عن وطنهم، فامسك بيده النجسة المصحف الشريف، وقال لجنوده: لن تستطيعوا الانتصار عليهم طالما هذا الكتاب بين أيديهم، ودخل الجامع الأزهر بخيله، وقام بإحراق المكتبة حقدًا وغلاً، فزادهم ذلك إصراراً على الجهاد حتى أخرجوهم من مصر، أما نابليون فقد عاقبه الله فمات في المنفي مذمومًا محسوراً على يد قومه.

وعندما دخل الإنجليز الدول العربية نفذوا ما كان يريده نابليون، ولكن بطريقة خبيثة، و هو ما أسموه بحركة تحرير المرأة، فنصبوا رؤوسًا في المجتمعات الإسلامية خاصة في مصر وتركيا، وقد كانتا أقوى الدول الإسلامية آنذاك، لتدعو إلى هذه الحركة لإفساد المجتمع، وللأسف كان معظمهم من حفظة القران الكريم، وخريجي الأزهر، ومنهم بعض العلماء أصابتهم هذه الفتنة، وانزلقوا فيها، وكانت

دعوة لسفور المرأة وخروجها للعمل واختلاطها بالرجال بدعوى التقدم والمدنية.

وانساق المجتمع الإسلامي وراء هذه الفتنة دون وعي أو إدراك؛ لجهلهم بعلوم الدين، فقد كان أغلبهم أميون وهذه هي الطامة الكبرى؛ لأن العلم يحمي الإنسان المسلم من مثل هذه الفتن كما سبق أن أوضحنا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فإذا جاءت فتنة عرفوا أنها من الشيطان؛ لأنها تخالف شرع الله، فلا تصيبهم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩] والتقوى لا تأتي إلا بالعلم فبه ينتصر على شياطين الإنس والجن، قال ﷺ: «**عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**».

وقد بدأت هذه الحملة منذ العشرينيات، وزادت في

الثلاثينيات، وآتت ثمرها في الخمسينيات بعد انتصار اليهود، واحتلال فلسطين، فاختفى الحجاب تمامًا من المجتمعات الإسلامية، وخاصة في مصر؛ لأن رأس الفتنة كانت بها هي وتركيا، كما أدخلوا القوانين الوضعية، وعطّلوا إقامة الحدود فبعد المسلمون عن دينهم، ونفذ الاستعمار ما كان يرجوه ويتمناه.

فهل حصل المسلمون على ما وعدوهم به من تقدم ومدنية؟، لا والله، بل ازدادوا فقرًا، وذلاً ومهانة، حتى تكالبت عليهم الأمم، وحدث ما تنبأ به رسولنا الكريم ﷺ، قال: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**»، قالوا: أمن قلّة يا رسول الله؟ قال: «**بل أنتم كثرة، ولكن كغثاء السيل** (النفاية التي تخرج من البحر) **وتُنزع المهابة من قلوب أعدائكم ويقذف في قلوبكم الوهن**» قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبّ الدنيا وكراهية الموت**»، فحب الدنيا هي رأس كل خطيئة.

كانت مصر أغنى وأقوى دولة في المنطقة على مر

العصور، وكان جندها خير أجناد الأرض، يُدافعون عن الإسلام وعن قضايا الأمة الإسلامية، وعندما غرقت في هذا المستنقع ولم تستطع الخروج منه أصبحت من أفقر دول المنطقة، تمد يدها للمسلمين، وغير المسلمين، وتأتمر بأمرهم رغم ما تملكه من ثروات طبيعية، وموقع جغرافي ممتاز، ولكن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أما الدول التي لم تصبها هذه الفتنة لعدم دخول الاستعمار بلادهم، حيث كانوا دولاً فقيرة لا مطمع للاستعمار فيها تمسكوا بشرع الله، ففتح الله عليهم البركات من السماء والأرض وأخرج لهم الذهب الأسود الذي يسيطر على اقتصاد العالم الآن.

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾ [الأعراف: ٩٦]، جاءتهم التكنولوجيا والعلم والحضارة دون أن تخرج نساءهم من البيوت، وجعلهم الله اية لمن أراد أن يعتبر.

ولكن للأسف الشديد أنهم لم يتعلموا مما حدث

لغيرهم فهم الآن أصبحوا مطمع المستعمرين الذين لا همّ لهم إلاّ السيطرة على ثروات الدول الضعيفة، والتحكم فيها واستغلالها لصالحهم.

وبدأوا فعلاً في تنفيذ مآربهم، وذلك يبدأ بإخراج المسلمين عن تعاليم دينهم فأغلقت بعض الدول المعاهد الدينية بحجة أنه يخرج منها الإرهابيين، والبعض الآخر تحللوا من بعض تعاليم دينهم، بحجة الديمقراطية والحرية، وما إلى ذلك.

وصدق رسولنا الكريم عندما قال: **«والله ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى أن تُفتح عليكم الدنيا كما فُتحت على الذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم»** [رواه البخاري (ص١١٥٢)].

ويا ليت هذه الدول تعتبر بما حدث لغيرها، وأن تتمسك بدينها ولا تنزلق إلى المستنقع الذي غرقت فيه.

وها نحن نرى بداية النهاية، فكانت العراق أول لقمة سائغة يلتهمها المستعمر الذي دخل المنطقة بترحيب من

أهلها، فغرقت سفينة العراق في بحر من الدماء، والبقية تأتي، فهل من معتبر؟!.

الأضرار التي أصابت المرأة والمجتمع من جراء ركوب موجة الحرية:

في بادئ الأمر لا ننكر أهمية تعليم المرأة وتثقيفها، ولكن هذا الأمر لا يكون على حساب ما خُلقت من أجله، وهو بناء أسرة ورعاية شئونها وتنشئة الأولاد على القيم والأخلاق والدين، فأهم علم يجب أن تتعلمه المرأة هو علم الدين؛ لذا حثّنا رسولنا ﷺ على اختيار المرأة الصالحة.

أما أن يكون همها هو الحصول على أعلى الدرجات العلمية، ثم تكون في أعلى المناصب فقط لتنافس الرجل في العمل، فهذا ما جرّ عليها وعلى المجتمع مساوئ عديدة منها:

[١] الاختلاط بالرجال أدى إلى التفكك الأسري، فهي تقضي مع زملائها في العمل أكثر من الوقت الذي تقضيه مع زوجها، فزادت نسبة الطلاق لدرجة أن هناك إحصائية تقول: إنه كان في السبعينات نسبة الطلاق لا تزيد عن ٧٪

من نسبة الزواج، وأخيراً وصلت نسبة الطلاق إلى ٥٠٪ من حالات الزواج.

[٢] خروج المرأة سافرة متبرجة تفتن الرجال، مما أدى إلى عزوفهم عن الزواج، فلا يرضى الرجل إلاّ بزوجة تشبه فلانة الممثلة أو المذيعة أو صورة وضعها في مخيلته، تكوّنت من كثرة مشاهدة النساء المتبرجات، حتى المتدينين من الرجال، كل ذلك كان ضرراً للمرأة، وليس لصالحها، وكان سببًا في كثرة المشاكل الزوجية، وارتفاع نسبة الطلاق، فلو أن كل رجل خرج من منزله إلى العمل، ولم يرَ سيدة، لعاد إلى بيته ليرى زوجته أجمل النساء، حيث لا وجه للمقارنة، بل هي السيدة الوحيدة التي يراها، والتي تحلّ له، ومن هنا نعرف الحكمة من تغطية المرأة بالكامل وبما فيها وجهها.

[٣] خروج المرأة للعمل، شكّل لها ضغط نفسيّ لا تستطيع تحمله فهي أصبحت تتحمل أعباء الوظيفة بجانب أعباء المنزل وتربية الأولاد، وكل ذلك فوق طاقتها، وخاصة

أثناء الحمل والرضاعة، وقليل ممن تستطيع الوفاء بهذه الإلتزامات، فلابد أن يكون أحدهما على حساب الآخر، فيكون الحساب من الله عز وجل كبير، وقد قابلت في حياتي نساء غير مسلمات من الأجانب يحسدن المرأة المسلمة على أنها غير مكلفة بالإنفاق على الأسرة وبالتالي فهي ليست بحاجة إلى العمل.

[٤] زاحمت المرأة الرجال في سوق العمل مما قلّل فرص العمل أمام الشباب، فأصبحت المرأة تعمل وأخيها يجلس في بيت أبيه، أو يلعب الكرة في الشارع، وبالتالي لا يستطيع الزواج مما أدى إلى تأخر سن الزواج بالنسبة للرجال والنساء، وزاد في تعقيد الزواج.

[٥] استقلال المرأة ماديًا شجّعها على عصيان زوجها، والتكبر عليه، بل وكان سببًا في أن تطلب الطلاق لأتفه الأسباب، ولا تصبر؛ لذا جعل الله القوامة للرجال والعصمة بيده؛ لأنه أحرص على صيانة الأسرة؛ لأنه يتحكم في عواطفه أكثر من المرأة.

[٦] الاختلاط أدى إلى تشبه المرأة بالرجل مما أفقدها أنوثتها، وكذلك الرجال تصرفاتهم أصبحت فيها ميوعة، وهؤلاء ملعونون على لسان رسولنا الكريم، وأيضًا يُقلل من فرص الزواج.

[٧] العائد المادي للوظيفة يصرف معظمه – إن لم يكن كله – في الملبس والمواصلات والمكياج، وما إلى ذلك، فلا يفيد اقتصاد الأسرة ولا المجتمع بشيء يُذكر.

[٨] خروج المرأة إلى العمل، كان على حساب تربية الأولاد تربية سليمة، فهي إما تتركهم لمربية لا تدري ماذا تعلمهم، أو تُلحقهم بمدرسة أيضًا لا تدري ما هي القيم التي يتعلمونها فيها، ففي هذه السن الصغيرة وهي أقل من سبع سنوات يتشكل فيها شخصية الطفل.

[٩] عاقب ربنا عز وجل دعاة هذه الفتنة وهم رؤوس المجتمع آن ذاك، بأن سلبهم ملكهم وخرجوا من البلاد أذلة صاغرين تاركين وراءهم ملكهم وديارهم وأموالهم، والذين عاشوا في مصر عاشوا فقراء أذلاء بعد أن صودرت

أملاكهم. أما باقي المجتمع فقد أُشربوا هذه الفتنة ونُكست قلوبهم، وامتلأت سواداً، فأصبحوا يروا الحجاب – وهو شرع الله – تأخر وهمجية، ويروا السفور والعري تقدم ومدنية.

قال ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عود، فأي قلب أُشربها نكت في قلبه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكراً إلاّ ما أُشرب هواه، وقلب أبيض لا يضره فتنة مادامت السماوات والأرض**» [رواه مسلم].

هذه تجربتي أضعها بين يدي الأجيال القادمة حتى يتجنّبوا المصاعب التي قابلها آباءهم وأمهاتهم من الجيل السابق ممن أُشربوا هذه الفتنة وذاقوا مرارتها، وكانوا ضحية لها، إلاّ أنني بفضل الله ورحمته قد نجاني منها وقد ذُقت حلاوة الإيمان في طاعة ربي فأردتُ أن أنقلها إلى كل قلب مؤمن، ونقول للذين يهونون من شأن تلك المعصية ويظنون أنهم بصلاتهم يغفر الله لهم:

■ إن الله لا يقبل الصلاة طالما هناك إصرار على المعصية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٥]، أي أن الإصرار على المعصية يمنع مغفرة ربنا عز وجل، وإنما يغفر الله لمن تاب عن المعاصي وندم ولم يعد لها.

وقال ﷺ عن رب العزة: «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، وقطع النهار في ذكري، ولم يستطل بها على خلقي، ورحم الأرملة والمسكين، ولم يبت مصراً على معصيتي**» أو كما قال ﷺ. أي أن الإصرار على المعصية يمنع قبول الصلاة وسائر العبادات.

وقال ﷺ: «**لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مُصراً على معصية**».

■ السفور والتبرج هي مقدمات الزنا التي نهانا ربنا عنها، فهي كبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال ﷺ: «إن المرأة إذا خرجت متعطرة فهي كذا وكذا (أي زانية) ولعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها».

■ الرجل الذي لا يغار على أهله يُسمى بالديوث، وهو لا يشم رائحة الجنة.

[٥] من أنكر أمر من أوامر الله فقد كفر، والحجاب أمر من أوامر الله معروف من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥]. وأما خزي الدنيا فقد حدث لا على مستوى الأفراد فقط، ولكن على مستوى الأمة الإسلامية، فتكالبت عليها الأمم، وأصبحوا مستضعفين في الأرض، ونعوذ بالله من عذاب الآخرة.

[٦] الموضة التي تجري وراءها المرأة تأتي من بلاد الكفر من النصارى واليهود، وقد نهانا ربنا أن نتخذهم أولياء،

وإلاّ كنّا منهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، وقال ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم»، وقد أمرنا ﷺ بمخالفة اليهود حتى في العبادة، فأمرنا بصوم يوم قبل عاشوراء أو بعده.

[٧] انتشر في زماننا هذا الرجل الذي يتشبه بالمرأة والمرأة التي تتشبه بالرجل، وهؤلاء ملعونون على لسان النّبيّ ﷺ: «لعن النّبيّ ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»، وقال ﷺ: «**ثلاث لا يدخلون الجنة، ولا ينظر إليهم الله يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث** (الذي لا يغار على أهله) **والملعون**» وهو المطرود من رحمة الله كإبليس.

[٨] والبنطلون الذي تلبسه المرأة ويُظهر معالم جسدها فتكون كاسية عارية أي كأنها لا تلبس شيئًا، هؤلاء لا يشمون رائحة الجنة، وهنّ من علامات قيام الساعة كما جاء في حديث لرسول الله ﷺ.

فالفرق بين معصية سيدنا آدم عليه السلام وبين معصية إبليس

أن آدم عليه السلام عصى ربه في ساعة غفلة زيّن له الشيطان فيها المعصية، ثم تاب وأقرّ بذنبه عندما عرفه، أما إبليس استكبر على أوامر الله، وأصرّ وجعل نفسه نداً لله، وهذا هو الفسوق والكفر، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾ [ص: ٧٣، ٧٤].

وهكذا نجد أن دور المرأة مهم في بناء مجتمع سليم، فإن فسدت فسد المجتمع كله، وإن صلحت صلح المجتمع كله؛ لذا كان أمر إفساد المرأة المسلمة يهم الأعداء، ودائماً يركزون عليه بدعاوى مختلفة وعبارات برّاقة تجذب ضعاف الإيمان إليها، فيا ليت المرأة تنتبه إلى ما يحاك إليها من شراك، وتعرف عدوها، وتُحاربه بطاعة ربها، فهي التي تُربي رجال المستقبل الذين يزودون عن الدين بأرواحهم، ويا ليت المجتمع الإسلامي كله ينتبه إلى هذا الخطر، ويقضي على الفتن، وهي في مهدها، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كيف نربي طفلاً سويًا بدنيا ونفسيًا؟

الطفل هو رجل المستقبل الذي سوف يدافع عن الأمة الإسلامية، والبنت هي أم المستقبل التي تربي الأجيال؛ لذا لابد من الاهتمام بتنشئة الطفل منذ العزم على الزواج بأن يكون الدين هو أساس الاختيار سواء بالنسبة للرجل أو المرأة حتى تقوم العلاقة منذ البداية على المودة والرحمة التي جعلها الله آية من آياته، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، فإذا وُفق الإنسان للزواج فليحمد الله ويعلم أنها نعمة قد حُرم غيره منها فليحافظ عليها لدوام هذه المودة والرحمة، فالطفل الذي يتربى بين أبوين يسود بينهما الحب والوئام ينشأ نشأة سوية.

فإذا منّ الله على الأبوين بنعمة الولد فليحمدوا الله على هذه النعمة؛ لأن غيرهم قد حُرم منها، قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، فلا يتضجر ولا

يسخط من مشاكلهم بل يصبر، ويعلم أن الله يُعين على تربية الأولاد ويرزقهم.

والعناية بالطفل تبدأ منذ خلقه في رحم أمه فلابد للأم من تغذية سليمة وتختار الأطعمة التي تساعد على هدوء النفس والسكينة مثل التمر، فيولد الطفل هادئ الطبع حليم.

وبعد الولادة لابد أن تحرص الأمة على إرضاع الطفل حولين كاملين إن استطاعت، فقد ثبت علمياً أنه لا مثيل للبن الأم حيث أنّه يحتوي على أجسام مضادة للأمراض بالإضافة إلى فوائد جمة لا مجال لذكرها كما أن عملية الرضاعة تُعطي الطفل الإحساس بعطف الأم وحنانها، وعند الفطام لابد أن يكون تدريجياً؛ حتى لا يشعر بقسوة الانفصام عن أمه، فتؤثر على نفسيته مستقبلاً.

فإذا بلغ الطفل السنتين يبدأ في التعرف على ما حوله، فيأخذ كل ما تناله يده ليلعب به أو ليفحصه، ويمكن أن يُتلفه أو يكسره وفي هذه الحالة لابد أن تعامله الأمة برفق، فلا تنهره أو تضربه؛ لأنه لا يعي نتيجة فعله هذا، ولكنه يعرف فقط أن أمه التي يحبها قست عليه، فيبكي ويلجأ

إلى مزيد من التدمير انتقامًا لهذه القسوة، وإذا عادت إلى الضرب مرة أخرى زاد عنادًا وتدميرًا.

والأفضل هو أن تحتفظ الأم بكل ما تخاف عليه بعيد عن يد الطفل وإذا وقع في يده شيئًا وأتلفه، لابد أن تقابل ذلك بالصبر والحلم، بل والابتسام أيضًا، وإذا أراد الطفل شيئا لا تُريد أن تعطيه إياه، فلا تمنعه ولكن تصرفه عنه إلى شيء آخر يحبه، ثم تُخفي الشيء الذي لا تريد أن تُعطيه وهكذا يكون التحايل في معاملة الطفل حتى السابعة من عمره ملاطفة وحب وحنان، هكذا علّمنا رسولنا الكريم، فقد دخل عليه رجل وهو يقبل الحسن فقال الرجل: إنّ لي عشرًا من الأولاد لم أُقبل أحدًا منهم. فقال ﷺ: «**من لا يرحم لا يُرحم**». وقد ثبت علميًا أن شخصية الطفل تتشكل في هذه السن الصغيرة، فإذا شبّ على هذه المعاملة كان شخصًا سويًا يُحب الخير وعمله، ويكره الشر وعمله، ويتسامح مع الآخرين، فإذا أضفنا إلى ذلك تعليمه علوم الدين وحفظ القرآن وحكايات الأنبياء والصالحين ويكون الأبوين مثلاً

حي لحسن الخلق، فلا يكذبان عليه، وإذا وعداه بشيء لابد من الوفاء به حتى لا يفقد الثقة بهما وبكل الناس.

فإذا بلغ الطفل السابعة يُعلمانه الصلاة في أول وقتها، حيث أن الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ثم تبدأ الأم في تأديبه فإذا أخطأ عوقب، وإذا أحسن أثنيت عليه بالكلام الطيب، والهدايا؛ لإعطائه الثقة في نفسه.

وإذا شبّ الطفل وأصبح له أصدقاء لابد من مساعدته في اختيار الصديق ذو الخلق الحميد؛ لأن المرء على دين خليله، كما قال ﷺ، كذلك توجهه إلى الاستفادة من وقته بقراءة الكتب العلمية والدينية والثقافية وممكن أن يتعلم حرفة يستفيد منها عندما يكبر، وتعليم البنت إدارة المنزل والطهي وكل ما يتعلق بشئون الأسرة.

وهكذا يتكون مجتمع المستقبل من شباب على خُلق ودين، يتحملون مسئولية أسرهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه، فتنهض الأمة وترتقي.

ومما يساعد الأم على أداء هذه المهام الجسام هو تنظيم

وقتها والاستفادة من كل دقيقة وتُحاول أن تؤدي أعمال المنزل أثناء نوم الطفل؛ لتتفرغ له عند استيقاظه.

كل ذلك هو ما في قدرتنا، إلا أن قدرة الله فوق كل شيء؛ لذا كان لابد من التوجه إلى الله عز وجل بالتضرع والدعاء لصلاح الذرية، ومن أحسن الدعاء هو ما علمنا ربنا إياه في سورة الفرقان في صفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقرة العين هي أن يرى الأبوين الأبناء مقيمين على طاعة الله عز وجل.

وأذكر في هذا الصدد أن هناك إحصائية تقول أن الطفل المصري يُولد على أعلى درجة من الذكاء بالنسبة لأطفال العالم كله، إلاّ أن طريقة التربية هي التي تجعله مُتخلفًا علميًا وثقافيًا، والدليل على ذلك أن علماؤنا عندما يذهبوا إلى الخارج يتفوّقون على قرنائهم ويحصلوا على أعلى الدرجات العلمية.

٥- الرشوة والمحسوبية:

وهذه أيضًا من أشد المنكرات التي شاعت في المجتمع المصري، ولو عرف الناس عقابها ما أقدموا عليها، قال ﷺ: **«لعن الله الراشي والمرتشي، والرائش»**، فالراشي ملعون قبل المرتشي؛ لأنه لو لم يكن هناك راشي ما كان هناك مرتشي.

وقد زيّن الشيطان لهم هذا العمل بأن أسموه بمسميات أخرى مثل هدية أو إكرامية أو صدقة؛ لأنهم محتاجون، وما إلى ذلك من المسميات، حتى لا يأنبهم ضميرهم.

فإن كانت هدية كما يزعمون فقد حرّمها رسولنا الكريم ﷺ، فقال ﷺ: **«ما بال الرجل نستعمله ثم يأتي، فيقول هذا لكم، وهذا أُهدي إليَّ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته»**.

وللأسف بعض العلماء أباحوها لقضاء حاجة الإنسان إذا اضطر ولا عليه وزر، وماذا في هذه الدنيا يساوي أن أبيع به الآخرة، لا شيء مهما عظم قدره وأهميته، بل العكس إذا أصرّ الإنسان أن يأخذ حقه دون اللجوء إلى ما يُغضب الله،

سوف يُيسّر له الله أمره ويقضي حاجته، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق: ٤].

والراشي ملعون قبل المرتشي؛ لأنه يحرضه على فعل المنكر، وبعد ذلك يستحله، بل ويجعلها إتاوة يفرضها على الناس، و هذا ما حدث، فاستشرت هذه الظاهرة وأصبح الناس كلهم ملعونين والعياذ بالله، فتعطلت مصالحهم وخربت ذممهم، ولم يجني المجتمع إلاّ الخراب، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١]، فإذا وصلت الرشوة إلى القضاء والشرطة كانت الطامة الكبرى؛ لأنهم المختصين بأمن وسلامة المجتمع.

٦ - أكل أموال الناس بالباطل:

ويدخل في ذلك كثير من المعاملات المالية منها على سبيل المثال لا الحصر:

[١] الغش في البيع والشراء: قال ﷺ: «**من غشّنا فليس منّا**».

[٢] تطفيف الميزان ويدخل في ذلك المغالاة في سعر

السلعة والفصال الذي يبخس سعر السلعة، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ ﴾ [المطففين: ١ - ٣].

[٣] عدم الوفاء بالعقود والتحايل للاستيلاء على أملاك الناس من عقارات وأراضي، وذلك بواسطة محامين ليس لهم ضمير، همهم جمع المال لا يُبالي أحدهم أهو حلال أم حرام، ويدخل في ذلك قانون الإيجارات القديم والتعامل به، فقد حرمه كثير من المشايخ والعلماء، فهذه عقود فُرضت على الناس من قبل السلطة بدون تراضي بين الطرفين، وكل عقد قائم على عدم التراضي فهو باطل، ولابد أن يكون بمدة محددة؛ لأنه عقد إيجار وليس تمليك، فلا يصح توريثه إلاّ برضاء من المالك، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

[٤] التهاون في سداد الديون وأكلها في كثير من الأحيان، حتى بين الأقارب، وكان ﷺ لا يُصلي على من مات وعليه دين.

[٥] أكل أموال اليتامى والضعفاء في الميراث والتحايل لمنع بعض أصحاب الفروض من حقهم في الميراث كان يكتب الأب ما يملكه لبناته؛ حتى لا يشاركهم أعمامهم في الميراث، وقد توعّد الله من يفعل ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

[٦] بخس مهر المرأة أو استيلاء الزوج عليه أو إرغامها على تجهيز بيت الزوجة، فيُعطي باليمين ليأخذ بالشمال، مع أن المهر عطية خالصة للمرأة، ليس لوليّ أمرها، ولا لزوجها حق فيه، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤]. ونِحْلَة تعني عطية بدون مقابل، أما أن يفرض عليها تجهيز المنزل، فهي غير مكلفة بذلك ولا يوجد في أي بلد إسلامي هذا العرف، إلاّ في مصر ، وإذا كان العرف يُخالف الشرع فلا إكراه فيه، ولو علم الزوج أن ما ينفقه على المرأة يعود إليه أضعافًا مضاعفة لما فعل ذلك، قال ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقته**

على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك خيرهم ما أنفقته على أهلك» فهو نفقه وصدقة في آن واحد؛ لذا سمى المهر صداق فهو مشتق من الصدق، وقال ﷺ: **«اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»** واليد العليا هي التي تُنفق، والسُفلى هي التي تأخذ.

[٦] استيلاء الموظف على ما تحت يده من عهد: كما يحدث في الوظائف الحكومية والشركات، مثل استخدام الأجهزة كالتليفون أو الأجهزة الطبية في المستشفيات والأدوية في الصيدليات، واستخدام آلات التصوير.

ولو استطردنا في سرد ما تحت هذا العنوان من معاملات مالية فاسدة لاحتجنا إلى مجلدات.

٧- قسوة القلوب وعدم التراحم بين أفراد المجتمع:

وهذه نتيجة حتمية لخروج الناس عن شرع الله تعالى، كما سبق أن أوضحنا، ومن مظاهر هذه القسوة:

[١] قسوة الوالدين على أولادهما، وهذا مخالف للفطرة، فقد وصّى الله الأبناء بالوالدين، ولم يوصِ الوالدين؛ لأنه من الطبيعي أنهم يرحمونهم بالفطرة، ولكن ما

يحدث الآن غير ذلك، فنرى الأب لا همّ له إلاّ جمع المال، ولا يُعطي أولاده شيئًا من وقته، وقد يُسافر في أقصى البلاد؛ ليبعث لهم بالمال الوفير، ولكن هم يفتقدون عطفه وحنانه وتوجيهه لهم إلى ما يصلح حالهم، وكذلك الأم تخرج للعمل وكثير منهن غير محتاجات للمال وتترك أولادها للمربية التي تعاملهم بقسوة هي الأخرى أو المدرسة التي تضرب وتشتم، فإذا كانت الأم لم ترحم أولادها، فهل تنتظر من الغريب أن يرحم، وإذا عادت إلى المنزل مرهقة من العمل لابد أن تشتم وتضرب، وهكذا نجد الطفل ينشأ في جو مشحون بالتوتر وقساوة القوب، فينشأ طفلاً غير سويّ، عدواني بطبعه، يثور لأتفه الأسباب، ويضرب زملائه، ويفرغ ما في صدره من غل في تمزيق أو تكسير الأشياء، وإذا شبّ كان رجلاً عدوانيًا أيضًا يعامل الناس بغلظة وفظاظة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. ثم يجني الآباء نتيجة هذه القسوة

عند كبر سنهم واحتياجهم لأبنائهم، فلا يجدوا منهم براً ولا رحمة بهم، بل العقوق والقسوة التي نهى الله الأبناء عنها، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

أما في الأوساط الشعبية فنجد ضرب الأولاد بقسوة وغلظة، يدفعهم إلى الهروب للشارع، إما الشحاذة أو السرقة، وقد كثر أمثال هؤلاء، وعندما يكبروا يصبحوا عالة على المجتمع، والفاسق منهم يصبح خطراً على المجتمع.

[٢] قسوة الرجال على زوجاتهم، وقسوة النساء على أزواجهن: وذلك مخالف أيضاً للفطرة، فقد جعل الله المودة والرحمة بين الأزواج من آياته، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]، وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وقال ﷺ في حجة الوداع: «استوصوا بالنساء خيرًا». وتجد كثيرً من الرجال يعاملون زوجاتهم بقسوة قد تصل إلى حد الضرب المبرح، كما يقصر في الإنفاق عليها، وأحيانًا كثيرًا يستولي على أموالها.

وأما الزوجات فلم تعد زوجة تعطي لزوجها حقه الذي أوجبه الله عليها، حيث قال ﷺ: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها»؛ لعظم حقه عليها. وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

[٣] قطيعة الرحم: فأصبح كثير من الناس لا يعلمون شيئًا عن أقاربهم إلا إذا احتاجوا منهم شيئًا، ولا مانع من أن يأكل الأخ حق أخيه في الميراث، و إذا كان في

الأسرة محتاج، سواء كان فقيراً أو يتيماً يتهرب الكل منه، ويشعر بأنه عبء ثقيل، مع أن الرسول ﷺ قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي رحم صدقة وصلة رحم**»، وقال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾**﴾ [النساء: ٣٦]. وقال ﷺ: «**من أراد أن يبسط له في رزقه، ويُنسىء له في أجله، فليصل رحمه**» [رواه البخاري (ص٣٤، ٣١)] وحذر ﷺ من قطيعة الرحم فقال: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**».

٤] الجيران كانوا في سالف الأزمان أهلاً، بل كانوا أكثر من الأهل، وقد سميَ الجار جاراً؛ لأنه أول من يُجير في الشدة، أما الآن فلا تجد جار يعرف اسم جاره ولا شيئًا عنه، بل قد يصل الأمر إلى حدٍّ إيذائه، وفي الآية السابقة أوصانا ربنا عز وجل بالجار القريب والبعيد، فقال ﷺ: «**مازال جبريل يوصيني بالجار**

حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه البخاري].

وقد وصلت قسوة القلوب بين أفراد المجتمع إلى حد الجريمة، فأصبحنا نسمع عن جرائم ما كان لها وجود قبل ذلك، فتسمع عن أب قتل أولاده؛ للتخلص منهم بدون ذنب جنوه، وزوجة تقتل زوجها لكي تتزوج عشيقها، وزوج يقتل زوجته؛ لأنها لم تحضر له كوبًا من الشاي، وابن يقتل أمه ليستولي على مالها أو شقتها.

وتقف أمام كل ذلك في ذهول، فهو قليل من كثير لا يتسع المجال لذكره، ولا تستطيع تفسير ذلك، إلاَّ أنه غضب من الله أو أنه علامة من علامات الساعة.

ألم أقل في المقدمة أن العالم أصبح غابة كبيرة يأكل القوي فيها الضعيف، والكبير الصغير، ونُزعت الرحمة من قلوب البشر.

بعد كل ما ذكرنا من منكرات ألا يستحي المسلم عندما يقف بين يدي ربه ليدعوه ويصلي وهو يفعل هذه المنكرات، أو يعيش في مجتمع يفعل هذه المنكرات، ولا

يتحرك لتغييرها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والذي يرى جريمة ويسترها فهو مشارك فيها، ألا يستحي أن يقول أنني مسلم أو أنا مؤمن، وهو لم يدافع عن دينه.

أخي المؤمن، من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم كما قال رسولنا الكريم ﷺ، لقد بات الشعب المصري أسوأ شعوب المسلمين أخلاقًا وتدينًا، وهذه حقيقة لابد من الاعتراف بها، فلا نضحك على أنفسنا، ولابد أن نعترف بذلك حتى ينصلح حالنا، فالطبيب الماهر لابد له من تشخيص المرض؛ ليصف الدواء، فإذا لم يصل إلى تشخيص المرض عجز عن العلاج.

أخي المؤمن، إننا نعيش جميعًا في سفينة واحدة، إن غرقت غرق الجميع بلا استثناء إلاّ من رحم ربي، وهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما سبق أن أوضحنا، وينجي معه المؤمنين أو يُنجي الجميع، طالما فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة، فكان**

بعضهم في أعلاها، وبعضهم في أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا أرادوا الماء مروا على من فوقهم فتأذوا منهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا خرقًا فيها حتى لا نؤذي من فوقنا. فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا» [رواه البخاري].

ليس ذلك على مستوى أفراد مجتمعنا فقط، ولكن لابد أن يكون على مستوى الأمة الإسلامية كلها، فلابد من كل دولة إسلامية أن تناصر وتُدافع عن أي دولة أخرى يُعتدى عليها، و أن يكونوا يداً واحدة على أعداء الإسلام، وإلاّ سوف تغرق بهم السفينة.

وها نحن نرى المستعمر يُظهر عداوته للإسلام والأمة الإسلامية ويُعلنها حربًا، وقد بدأ بأفغانستان، ولم يتحرك أحد، بل كان من ساانده من المسلمين، وبعدها كانت العراق، والبقية تأتي.

وكما أشهروا السلاح المادي كذلك أشهروا السلاح المعنوي، وهو الحرب الإعلامية فهم يفترون على الإسلام

بأقوال كثيرة، منها: أن سبب تأخر المسلمين هو تمسكهم بثوابت دينهم – يعنون القرآن والسنة – ويدعون أنه منقول عن السلف، وأن المسلمين لا يعملون عقولهم، وأن هناك تعارض بين العقل والنقل.

والحقيقة أن سبب تأخر المسلمين هو عدم تمسكهم بجوهر الدين؛ ولذا شاعت المنكرات التي لا تمتّ للإسلام بصلة، فأصبحوا وصمة عار على الإسلام، ومثلاً سيئًا لمن أراد الدخول فيه، ولو أن المسلمين اتبعوا أوامر الله لأنار الله عقولهم وفازوا بخيري الدنيا والآخرة ولنصرهم الله على أعدائهم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧** ﴾ [محمد: ٧].

فلا تعارض بين ما جاء في القرآن والسنة وإعمال العقل، بل إن العلم أثبت كثيراً من الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن والسنة، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق العقل وهو الذي علّم الإنسان، قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤** ﴾ [الرحمن: ١-٤]،

وقال تعالى في أول سورة نزلت على الرسول ﷺ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١]، ولكن الإنسان يطغى بهذا العلم، وصدق ربنا عندما قال: ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ ﴾ [العلق: ٥ – ٧].

فالكافرون لا يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله تعالى، بل هو منقول عن البشر من السابقين، ويُريدون أن يُقنعوا المسلمين بهذه الدعاوى؛ لكي يزيدوا المسلمين ضلالاً على ضلالهم، فيتركوا ما بقي ومازالوا يتمسكون به، أما الذي يقرأ عن الإسلام ويعرف حقيقته فإنه يدخل في دين الإسلام.

الخاتمة

ونختم هذا الكتاب بالسؤال الذي حيّر كثير من المهتمين بحال الأمة الإسلامية:

ما الطريق إلى تقدم الأمة الإسلامية ونهضتها من كبوتها هذه؟

البعض يقول: إنه في تماسك الأمة ووحدتها على مستوى الدول وعلى مستوى الأفراد، وهذه حقيقة فعلاً، ولكن هذا لا يحدث إلاّ بأمر الله، فهو الذي يؤلف بين القلوب، وذلك مشروط بطاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

والبعض الآخر يراه في جهاد أعداء الإسلام، وهذا عظيم أيضًا، ولكن كيف يجمع المسلمون جيشًا من أفراده ليس

في قلوبهم حمية على الدين، وعقولهم خاوية من معاني القران، ويتمسكون بزخارف الدنيا وزينتها، ويؤثرونها على الآخرة، هل تنتظر من مثل هذا الجيش نصراً، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧]، ونصر الله هو في طاعته والعمل بشرعه.

وآخرين يرون تغيير الحكام هو السبيل حتى يحكم المسلمون من يُنفذ شرعه، وهذا جميل، ولكن هذا الكلام مردود عليه بأن الحاكم هو فرد من هذه الأمة، فإذا صلحت الأمة حكمها واحد منهم صالح أيضاً، فيحكم بشرع الله، فالأوامر إذا جاءت قهراً، كرهها الإنسان إن لم يكن الإيمان بالله قد ملأ قلبه، قال ﷺ عن رب العزة جل وعلا: «**أنا ملك الملوك أطيعوني أعطفهم عليكم**».

فطاعة الله لابد أن تبدأ من القاعدة لا من القمة؛ لكي تُبني الدولة الإسلامية على أساس متين ثابت لا ينهار لأتفه الأسباب، وأما القول الذي ظاهره حق ويُراد به باطل، فهي الأصوات التي تنادي بالديمقراطية والحرية والعلم

والتكنولوجيا، وتُروّج أقوال أعداء الإسلام بأنّ تمسكنا بثوابت الدين هي سبب تأخرنا ولابد من إعمال العقل.

والبعض يرى أن تعلم علوم الدين وحفظ القرآن وتجويده هو السبيل، فاتجه كثير من الشباب هذا الاتجاه، وفتحت المعاهد الأزهرية أبوابها لكل من يرغب في ذلك وأُجريت المسابقات في حفظ القرآن الكريم، وهذا أيضًا شيء محمود لا غبار عليه.

ولكن ليس هذا هو السبيل لإصلاح الأمة؛ لأنه لو لم يترجم هذا العلم إلى عمل فيصبح العلم نور يمشي به العالم بين الناس، فيُعلم الجاهل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يكون أشبه بمن أُعطي مصباح ليضيء به للناس فمشى به دون أن يوقده، فسار في الظلام يتخبط وسار الناس وراءه يتخبطون، فضلّ وأضلّ.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن

مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وهذا ما حدث للأمة الإسلامية، فهي مليئة بحفظة القرآن، أما المساجد فما أكثرها ومنابرها يعتليها علماء أفاضل يخطبون الخطب البليغة كل جمعة.

إذن لماذا هذا الجهل بالدين الذي يعم الأمة الإسلامية؟ لماذا كل هذه المنكرات التي تتفشّى في المجتمع الإسلامي لدرجة أنه وصل الحال في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي - وكلنا نعلم ذلك - أن اختفى حجاب المرأة تمامًا من المجتمع المصري، وبعض المجتمعات الإسلامية في شمال إفريقيا، وهو شيء معروف من الدين بالضرورة، جاء في القرآن الأمر به، وتوارثته الأجيال جيلاً بعد جيل، فكانت المرأة تلبس الملاءة تلف بها جسمها ووجهها، إلى أن حدثت الفتنة التي أدّت إلى هذا الحال.

أين كان الأزهر وعلماؤه؟ أين كان حفظة القرآن؟ وكيف تركوا المجتمع يصل إلى هذا الحد؟.

لابد أن يكون هناك حلقة مفقودة كانت تفصل بين المجتمع والعلماء، هذه الحلقة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن هذا العمل دعوة مباشرة بين العالم والجاهل، فيعرف أنه يرتكب منكراً فيرجع عنه، خاصة إذا أنكره أكثر من واحد، إن لم يكن المجتمع كله.

وسوف أسرد لكم واقعة عايشتها بنفسي لأثبت لكم هذه الحقيقة، فقد كنت أسير يومًا بجانب أحد المساجد في شهر رمضان الكريم، وهذا المسجد يعمل بسُنَّة الله ورسوله ويرتاده ذوي اللحى ويخطب فيهِ علماء أفاضل وبه معهد للدعاة، و أثناء سيري لفت نظري منظراً أنكرته، فقد كان رجلاً يفرش الأرض بصور الممثلين والممثلات، طبعًا ليبيعها للشباب!!.

أليس في ذلك منكراً وانتهاك لحرمة الشهر الكريم؟ أليس ذلك مالاً حرامًا ياكله هذاالرجل وأمثاله؟ أليس ذلك ترويج للفواحش؟ ألم يمر على هذا الرجل أحد من رواد هذا المسجد وطلاب ذلك المعهد الذي يُخرّج الدعاة؟

فلو كان أحدهم غضب لله ونهر هذا الرجل لما استطاع أن يفعل فعلته تلك، لا أقول هذا الكلام انتقاصًا من قدر العلم والعلماء، ولكن إظهارًا وإثباتًا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي به ينصلح حالة الأمة.

فالطريق الصحيح الذي أرشدنا إليه ربنا عز وجل هو الاعتصام بحبل الله المتين وسُنّة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال ﷺ: «**تركتُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسُنّتي**».

والاعتصام بحبل الله هو العمل بشرعه، فإذا فعلنا ذلك ألّفَ الله بين قلوبنا، وهذا أول طريق الوحدة الذي يؤدي إلى القوة، و لكن ما السبيل إلى الاعتصام بحبل الله؟ نجد الجواب في الآية التالية، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وحذرنا ربنا عز وجل في الآية التالية لهذه الآية من الفرقة والاختلاف؛ لئلاً ينزل علينا غضبه، قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فإذا فعلنا ذلك تحقق للأمة خيريتها التي وعدنا الله بها، قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران: ١١٠].

مما سبق اتضح لنا جليًا أن الطريق إلى خيرية الأمة وعزها ومجدها هو العمل بشرع الله عز وجل، كلٌ بقدر استطاعته، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي المصابيح التي تضيء لنا هذا الطريق، فهما صنوان لا ينفصما أبداً، وبذلك نتلمس خطانا على طريق النهضة، فتزداد الأمة علما ونوراً، ويزداد الطريق اتساعًا ونوراً، فنسرع الخطى إلى ما يتمناه كل مسلم محب لدينه ولأمته، محب لله ورسوله الكريم ﷺ من رفعة وعزة وكرامة.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز

الحكيم، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اجعلنا من عبادك المخلَصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدودك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وآخر كلامنا شهادة أن لا إله إلاّ الله، وخير أيامنا يوم لقاك، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، اللهم إنّا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلي الله على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفقيرة إلى الله

د. سهير العلايلي